Journal Of the Iraqia University 65-1(31-1) January (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

تجليّات الخوف والقلق الوجودي وأبعادهما الإنسانية عند شعراء العصر الجاهلي: امرؤ القَيس أنموذجاً

د: عبد اللّه بن عطية بن عبد اللّه الزهراني

أستاذ الأدب العربي والبلاغة والنقد المشارك بكلية الملك عبد اللّه للدفاع الجوي بالطائف

Manifestations of fear and existential anxiety and their human dimensions among the poets of the pre-Islamic era: Imru' al-Qais as a model

Researcher preparation:

D: Abdullah bin Attiya bin Abdullah Al-Zahrani
Arabic Literature, Rhetoric, and Criticism Professor
at King Abdullah Air Defense College in Taif
Kh493@hotmail.com

doi10.58564/MABDAA.62.2.2023.515

الملخص

هدف البحث إلى الكشف عن تجليّات الخوف والقلق الوجودي وأبعادهما الإنسانية عند شعراء العصر الجاهلي، من خلال شعر امرئ القَيس، وتمثلات تلك الأبعاد النفسية التي تأثر بها الشاعر من أعباء الحكم وهم استرداده، الشعور بالعزلة والاغتراب النفسي.

جاء البحث في تمهيد، ومبحثين، تناول المبحث الأول: الخوف والقلق من المسؤولية المنوطة. من أعباء الحكم وهم استرداده. والتهديدات الداخلية والخارجية. وتناول المبحث الثاني: الخوف والقلق من تقلبات الحياة وصروفها؛ كما في تقدم العمر، وغياب الجانب العاطفي، والشعور بالعزلة والاغتراب النفسي. وجاءت الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها: يتعلق الخوف والقلق الوجوديان بالذات ووجودها، مما يتمظهر في الخوف من فقدان الاستقلالية، أو الانفصال، أو موت (الأنا) أو الانقراض أو الضغوط الخارجية، وهو ما يمثل أبعادًا محسوسة تتصل بالذات.

- مثَّل استرداد الملك، وأعباء الحكم زاوية نفسية لدى الشاعر اتسمت بالخوف والقلق؛ نتيجة للضغوط التي حاصرت الشاعر، وجاء الثأر لأبيه في صدارتها، فضلًا عن ابتعاده عن أخته (هند) التي مثَّلت الأنثى التي ترى أخاها في صورة البطل، ورغبته في إثبات نجاحه في خلافة أبيه أمامها.

- جاءت التهديدات الخارجية والداخلية تمثِّل امتدادًا لأعباء الحكم، إلا أنها أبرزت امرأ القيس من منظور إنساني، كرجل ألقت به الأقدار في معترك الحروب، ومن ثم، جاء تمثُّله لمفهوم الحرب يعكس فقدان التمرُّس فيها، فضلًا عن أنها تسببت في موته بعيدًا عن أهله، وهو باعث قوي للخوف الوجودي المتمثِّل في (موت الأنا).

- كان لتقدُّم عمر الشاعر، وافتقاده الجانب العاطفي، وانصراف الجميلات عنه ما مثَّل الخوف من المستقبل، والقلق بخصوصه، وجاءت محاورة النفس، والحبيبة الافتراضية تشيان بذلك المنحى النفسي.

- عقد الشاعر مقارنة بين شعوره بالاغتراب، والخوف من القادم، وبين ظلام الليل الذي سيسفر عن صباح مثَّل الخوف من المجهول لدى الشاعر، ومن ثم، فقد اقترن الخوف والقلق الوجوديان بالناحية المحسوسة لدى الشاعر.

الكلمات المفتاحية: الخوف –القلق الوجودي – الأبعاد الإنسانية للشعراء – العصر الجاهلي – امرؤ القَيس.

Summary

The research aimed to reveal the manifestations of fear and existential anxiety and their human dimensions among the poets of the pre-Islamic era, through the poetry of Imru' al-Qais, and the representations of those psychological dimensions that affected the poet from the burdens of rule and the illusion of recovering it, the feeling of isolation and psychological alienation.The research included an introduction and two sections. The first section dealt with: fear and anxiety about the responsibility assigned. Of the burdens of governance and the illusion of recovering it. And internal and external threats. The second section dealt with: fear and anxiety about life's vicissitudes and circumstances. Such as advanced age, the absence of the emotional side, and feelings of isolation and psychological alienation. The conclusion came: It contains the most important results that I reached :Existential fear and anxiety relate to the self and its existence, which is manifested in fear of loss of independence, separation, death (of the ego), extinction, or external pressures, which represent tangible dimensions related to the self.The restoration of the king and the burdens of rule represented a psychological angle for the poet that was characterized by fear and anxiety. As a result of the pressures that besieged the poet, and revenge for his father came to the fore, in addition to his distance from his sister (Hind), who represented the female who saw her brother as a hero, and his desire to prove his success in succeeding his father to her.

-External and internal threats came to represent an extension of the burdens of governance, but they highlighted Imru' al-Qays from a human perspective, as a man thrown by fate into the battlefield of wars, and thus, his representation of the concept of war came to reflect a loss of experience in it, in addition to the fact that it caused his death far from his family, and he A strong driver of existential fear represented by (ego death.(

-The poet's advanced age, his lack of emotional side, and the withdrawal of beautiful women from him represented fear of the future and anxiety about it, and the self-talk and the virtual lover were indicative of that psychological aspect.

-The poet made a comparison between his feeling of alienation and fear of what is coming, and the darkness of the night that will result in a morning that represented the poet's fear of the unknown, and therefore, existential fear and anxiety were associated with the poet's tangible aspect.**Keywords: fear** - existential anxiety - human dimensions of poets - pre-Islamic era - Imru' al-Qais.

المقدمة :

اتجه النقد الأدبي حديثًا لدراسة الأبعاد النفسية التي تأثر بها الشاعر أو الأديب حيث إن البعد النفسي للشاعر ينضح على شعره الظاهرة النفسية المسيطرة عليه، ورأينا أن مثل: (الخوف، العنف، الاغتراب، القلق، انتهاك الذات، الفزع) كاستجابة لتمثلات العالم الخارجي يظهر جليًا في النص الأدبي فضلًا عن وجود غرض واضح من أغراض الشعر.والفكرة التي اسعى إلى محاورتها في هذا البحث هي محاولة رصد تجليات وملامح ومقولات الخوف والقلق الوجوديين في حياة وأدب امرئ القيس، تلك الشخصية العبقرية التي استيقظت فجأة على تنازعات في الحكم، وكنتيجة حتمية للأحداث الصاخبة التي ضربت حياة امرئ القيس نجدها تظهر كتمثلات للبعد النفسي في شعره .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أهمية البحث:

١) كون الموضوع يتعلق بشاعر عملاق من الشعراء وهو امرؤ القيس، ولم يتناوله الباحثون من جوانب إبراز تداعيات الخوف والقلق.

٢) كيف وظف امرؤ القيس النص الشعري لتجليات الخوف والقلق الوجودي؟

٣) وجود تداعيات في حياة الشاعر للخوف والقلق كأعباء الحكم وهم استرداده.

٤) بروز النص الشعر لامرئ القيس حيث إنه ضمن المعلقات التي هي أجود شعر ذلك العصر – بما تحقق عليها من إجماع من نقاد الشعر العربي القدامى والمحدثين.

أهداف البحث :

تكمن أهداف البحث في النقاط الآتية:

١) إبراز ماهية الخوف والقلق الوجودي عند امرئ القيس.

٢) بيان توظيف النص وكيف عبر عن أعباء الحكم وهم استرداده؟

٣) معرفة تمثلات النص الشعر في التهديدات الداخلية والخارجية عند الشاعر.

٤) الوقوف على محطات في حياة امرئ القيس كانت تداعيات للخوف والقلق مثل تقدم العمر، وغياب الجانب العاطفي، والشعور بالعزلة والاغتراب النفسي.

الدراسات السابقة :

بعد البحث وسؤال أهل التخصص وبخاصة أساتذتي منهم، ومطالعة محركات البحث لم أقف على بحث أو دراسة أكاديمية تناولت أبعاد الخوف والقلق الوجودي عند امرئ القيس، لكني وقفت على أبحاث تقاربت لهذا الموضوع في أكثر من نقطة بحثية، وجاءت الدراسات مرتبة من الأقرب لبحثي إلى الأبعد كالآتي:

(١) «الخوف والفزع في الشعر العذري: دراسة في ديوان جميل بثينة».

بحث مُحكم مُقدم من الباحثة: سكرة علي إبراهيم الكبيسي، نُشر بمجلة: كلية التربية للعلوم الإنسانية، بجامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج٢٩، ع١٢، العراق، ٢٠٢٢م. هدف البحث إلى بيان ملامح بيانية من لطائف نهج حياتنا اليومية، ويتكون البحث من أربعة مباحث: الأول الخوف من المستقبل المجهول (الخوف من الله سبحانه وتعالى): ويتضمن أربعة مباحث: الأول: تضمن الخوف من القدر، والمبحث الثاني: الخوف من المعاصي والذنوب، أما المبحث الثالث: فتضمن الخوف من الزمان والمكان؛ وأخيرًا المبحث الرابع: تضمن الخوف من المطر.

(٢) « تداعيات الخوف عند أبي العلاء المعري ».

بحث مُحكم مُقدم من الباحثة: هبة عادل مهدي جبر العلوي، نُشر بمجلة: التراث العلمي العربي، بجامعة بغداد – مركز إحياء التراث العلمي العربي، مج١٩، ع٣، العراق، ٢٠٢٢م. هدف البحث إلى الكشف عن مشاعر الشعراء وأفكارهم وعواطفهم وأحاسيسهم ولعل الخوف هو أحد تلك الأحاسيس التي مر بها الشعراء، ولا سيما أن الخوف مرتبط بصورة كبيرة بما يقع على النفس الإنسانية من تأثير حتى يجعلها تشعر بالأمن والأمان أو الخوف والرهبة، وهذا ما يدفع الشعراء للتعبير عن تلك المواقف؛ كونه يتعلق بأحداث مجهولة يخبئها الدهر وغالبا ما يكون هذا الشعور ملازما لكل شخص تتصف حياته بعدم الاستقرار والاضطراب. فحاولت الباحثة التركيز على هذه الظاهرة عند أحد شعراء العصر العباسي الثاني وهو أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ)؛ لأنها وجدت في شعره ما يتعلق بنفسيته المهتزة المضطربة الوجلة مما قد يصيبها، فارتأت في بحثها تقسيمه على وفق بواعث مختلفة: منها السياسي: ويندرج تحته الخوف من السلطة، ومنها الاجتماعي: والذي يتضمن الخوف من الآخرين وبما شاع في عصره من صور الغدر والنميمة والرياء والنفاق، ومنها النفسي: ويدخل في مضامينه الخوف من الله (عز وجل) وكذلك الخوف من الموت ومن عذاب الآخرة فضلا عن خوفه مما يخبئه الدهر. وقد عدت الباحثة البواعث سابقة الذكر علامات غير مرئية عبر بها الشاعر عن حالة مر بها، أو بيان ما خالط داخله من شعور مضطرب بين الوعي واللاوعي وعندئذ يطلق الشاعر العنان لمخيلته ليصور حالة الذعر والخوف التي تمكنت منه.

(٣) « سيميائية الخوف في الشعر الأموي: شعر "الأخطل نموذجا" ».

بحث مُحكم مُقدم من الباحثة: إيمان عصام خلف كامل، نُشر بمجلة: الزهراء، بجامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، ع٣١، مصر، ٢٠٢١م. هدف البحث إلى بيان المقاربة السيميائية قراءة ملمح الخوف في شعر " الأخطل التغلبي"، وتناولت من خلاله الحديث عن سيميائية التشاكل والتباين اللغوي المشكلة لملمح الخوف في شعر الأخطل، وسيميائية التصوير ودلالة الرمز الكاشفة عن ملمح الخوف، وسيميائية التشكيل الصوتي لانفعال الخوف عند الأخطل، ودور الإيقاع الخارجي والداخلي في الكشف عن الشعور الكامن للذات الشاعرة تجاه ملمح الخوف. واستهدف البحث الوقوف على ملامح الخوف المباشرة وغير المباشرة عبر ملمح سيميائي بهدف بيان أوجه الصراع وما نتج عنه من فكر مجسم لطبيعة الخوف. وتناول البحث المنهج السيميائي ذلك المنهج الذي يعتمد على القراءة المرتبطة بالمدلول الإشاري ومفهوم العلامة التي تجعلنا نخرج بمضامين تفسر لنا قيمة النص وآلياته في رؤية استكشافية غير مسبوقة من قبل. ومن أهم النتائج التي توصلت لها الباحثة ما يلي: – شكلت بنية التشاكل مجالا أرحب ورؤية تحليلية متوسعة لتحليل الشواهد التطبيقية، وأسهمت هذه الرؤية في الكشف عن ملمح الخوف عند الشاعر. – اقترنت الصور الفنية التي جسدت ملمح الخوف كثيرا بسياق مدح الخلفاء الأمويين في معظمها، واقتصر المدح على خلفاء وأمراء الحزب الأموي. – اعتمد الأخطل على بعض الحيل الدفاعية لمقاومة ما يترصده من خطر عبر سيميائية

الدوال اللغوية، ومنها توظيفه لبعض التعابير القرآنية في شعره؛ وذلك لاستمالة الحكام وإرضائهم والاستنجاد بهم من براثن التهديد المترصد. – اعتمد الشاعر على توظيف بعض الرموز الفنية المستقاة من الطبيعة لتجسيد ملمح الخوف لما تمنحه هذه الرموز من طاقة تعبيرية ودلالات سيميائية متنوعة، وجاء توظيف الثور أحد هذه الرموز المهمة.

(٤) « الآثار السلبية لعاطفة الخوف: قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير نموذجا ».

بحث مُحكم مُقدم من الباحث: عصام محمد قبيصي، نُشر بمجلة: بحولية كلية اللغة العربية، بجامعة الأزهر، بجرجا، ع٢٤، ج٩، مصر، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢٠م. هدف البحث إلى إظهار الآثار السلبية للخوف على الإبداع الشعري، وقد اختار الباحث قصيدة " بانت سعاد" لكعب بن زهير نموذجًا، وذلك لوقوع صاحبها تحت وطأة الخوف الشديد من القتل بعد أن أهدر الرسول – صلى الله عليه وسلم – دمه، ولم يجد الشاعر من يسانده أو يدعمه. وقد أوضحت الدراسة في المبحث الأول أسباب الخوف ومظاهره، وفي المبحث الثاني بينت الدراسة بعضا من الظواهر الفنية التي نتجت عن الخوف، ومن هذه الظواهر الاستطراد وكثرة الجمل الاعتراضية والتكرار، وفي المبحث الثالث تناول البحث قضية إغفال الشاعر ذكر الأنصار، واتهام بعض النقاد له بهجائهم أو التعريض بهم، وقد أثبتت الدراسة أن الخوف والقلق وتشتت الذهن هي الأسباب التي كانت وراء موقفه من الأنصار، وفي المبحث الرابع بينت الدراسة آثار الخوف السلبية على الإبداع والابتكار من خلال مناقشة موضوع التقليد، وقد أوضحت الدراسة أن الشاعر اتكأ على شعراء كثيرين سبقوه، فأخذ منهم مطلع القصيدة وبعض الأوصاف والتشبيهات والصور الفنية والأساليب. في النهاية خلصت الدراسة إلى أن عاطفة الخوف ظاهرة فنية لها تأثيرها الإيجابي على الأعمال الفنية، ولكن في الوقت نفسه إذا تجاوزت هذه العاطفة حدًا معينًا فإنها تؤثر بالسلب على إبداع الشاعر وفنه وابتكاره للصور والمعاني.

(٥) « الخوف في شعر الفرزدق بين الإعلان والإضمار ».

بحث مُحكم مُقدم من الباحث: أحمد محمد علي الجربوع، نُشر بمجلة: العلوم الإنسانية والاجتماعية، بالمركز القومي للبحوث غزة، مج١، ع١، فلسطين، ٢٠١٧م. هدف البحث إلى بيان ظاهرة الخوف في شعر الفرزدق، ولا يدرسها بالجملة في ديوانه، وإنما يدرسها ويركز عليها من خلال الشعر الذي قاله الشاعر في زياد والحجاج. وهما من ولاة العراق. وكان لهما عظيم الأثر في توجيه هذه الظاهرة في نظم الفرزدق، الذي أفرغ أكثره فيهما، فأولى الباحث اهتمامه في هذا البحث إلى قرب الشاعر من الوالي وبعده عنه. وأسباب ذلك، وكيف نشأ شعر الخوف من زياد والحجاج على وجه خاص، وما نجم عن ذلك من تعبير شعري له سماته وخصائصه في كل مرحلة، ومع كل وال، وكان عُمر الفرزدق وسنه، وبصره بسياسة عصره، وساسة مصره بمثابة الفيصل في كل تجربة، إذ وسمت شعره الخائف بالتباين مع زياد والحجاج، مما أثمر بعد وفاتهما غير قليل من الأهاجي التي أتى الباحث على ذكر بعضها في هذا البحث، مع اختلاف مضامينها حسب شدة الخوف الذي عاشه الشاعر مع هذا الوالي أو ذاك.

(٦) « تجليات القلق الوجودي عند الشاعر التركي توفيق فكرت ».

بحث مُحكم مُقدم من الباحث: محمد حامد سالم، نُشر بمجلة: الدراسات الشرقية، بجمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، ع٥٨، مصر، ٢٠١٧م. هدف البحث إلى بيان تجليات القلق الوجودي عند الشاعر التركي " توفيق فكرت". استخدم البحث المنهج التكاملي. واشتملت هيكلة البحث على تمهيد، وقسمين أساسيين. التمهيد تضمن ثمانية مطالب، وهي : المطلب الأول: تعريف القلق، والمطلب الثاني: نشأة القلق، والمطلب الثالث: درجات القلق، والمطلب الرابع: أنواع القلق، والمطلب الخامس: القلق والترابط الأسري، والمطلب السادس: تأثير القلق، والمطلب السابع: الفرق بين القلق والخوف، والمطلب الثامن: القلق الوجودي. ثم انتقل في القسم الأول إلى تتبع أشكال التحول الحضاري في شعر توفيق فكرت، وتضمن مطلبين، وهما: المطلب الأول: موقفه الفكري من الزمان، وموقفه الفكري من قضايا المجتمع. والقسم الثاني أوضح التمرد الميتافيزيقي في شعر توفيق فكرت، وتضمن هذا القسم أربعة مطالب، وهي: المطلب الأول: اللا أدرية، والمطلب الثاني: قضية الموت، والمطلب الثالث: الوحدة والنبذ الكوني، والمطلب الرابع: الشك في العقيدة. وأوضحت نتائج البحث وجود قلقٍ وجودي عند الشاعر، دفعه للتساؤل عن قضية الوجود والعدم والخلق، ولم يكن ينتظر إجابة على أطروحاته. كما أظهرت النتائج موقف الشاعر الفكري من الماضي حنقه على تاريخ أمته؛ فصور بطولاتها وقد قامت على سفك الدماء، والسلب والنهب، والسحل، وشبه القائد بالسفاح، وكذلك سخر من فريضة الجهاد في سبيل الله. وأخيرًا أثبتت النتائج أن جل هم الشاعر، كان محاولة إثبات أن الدين مسئول عن إشعال الفتن والحروب على وجه الأرض.

منهج البحث:

اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث نقف على النصوص الشعرية عند امرئ القيس التي برز فيها أبعاد الخوف والقلق الوجودي وتحليلها وإبراز شاعريته في هذا الصدد.

خطة البحث:

انتظمت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: واشتملت على مشكلة البحث، وأهدافه، ومنهجه وخطة البحث.

التمهيد: ويتضمن:

أ- التعريف بالشاعر.

ب- ماهية الخوف والقلق الوجودي.

المبحث الأول: الخوف والقلق من المسؤولية المنوطة.

المطلب الأول: أعباء الحكم وهم استرداده.المطلب الثاني: التهديدات الداخلية والخارجية.

المبحث الثاني: الخوف والقلق من تقلبات الحياة وصروفها.

المطلب الأول: تقدم العمر وغياب الجانب العاطفي.المطلب الثاني: الشعور بالعزلة والاغتراب النفسي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس: واشتملت على:

أ) فهرس المصادر والمراجع.

ب) فهرس المحتويات.

التمهيد :

أ- التعريف بالشاعر:

هو " امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل: حندج، وقيل: مليكة، وقيل: عديّ. وكان أبوه ملك أسد وغطفان.وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقَّنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته... إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس فنهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرًا كثيرًا"[١].

ب- ماهية الخوف والقلق الوجودي :

للخوف والقلق أسباب متعددة، منها: الخوف من الانقراض أو الاغتراب أو الموت، وغيره من الأسباب التي تتعلق بالذات، ومن ثم، فإن المستقبل يعدُّ المحور الرئيس الذي ينتظم مخاوف الإنسان؛ كونه يمثل الخوف من شر مرتقب في القادم، ويجتمع فيه قلق الماضي مع الحاضر[٢].وذهب (عاشور محمد دياب) إلى أنه يجمع بين مزيج من الأمل والرعب بشأن المستقبل، ومن ثم، فهو حلقة وصل بين ما كان وما سيكون من منظور نفسي متأرجح غير ثابت الرؤية[٣].وإن المتأمل في قصائد امرئ القيس ليَلْحظُ بجلاء انطلاقه في شعره، بعد مقتل أبيه، من منطلقات تدور حول قلقه ومخاوفه مما كان له عديد من الدوافع التي نحاول أن نرصدها فيما يلي من واقع أشعاره.

المبحث الأول: الخوف والقلق من المسؤولية المنوطة

المطلب الأول: أعباء الحكم وهَمُّ استرداده

اختلفت الروايات في واقعة قتل (حجر)، والد امرئ القيس، ومنها الرواية التي تقول: إن "امرأ القيس كان مع أبيه في حربه لبني أسد وأنه فرَّ حين هُزِمت كندة وقُتِل أبوه"[٤]، واتفقت الروايات على طلبه ثأر أبيه، واختلفوا في طلبه الملك، وإن كان سياق الأبيات، في قصائده، يشير إلى ذلك.وقد اقترن هذا الهدف، لدى امرئ القيس، بسعيه الدؤوب للأخذ بثأر أبيه، وقد بلغ به القلق مبلغه حتى إنه خرج يستعين بقبيلتي: بكر وتغلب؛ لإعانته على قتال بني أسد، قاتلي أبيه، فكان أن قاتل بني كنانة يحسبهم بني أسد، فخرجت إليه "عجوز من بني كنانة فقالت: أَبَيْتَ اللَّعْن، لسنا لك بثأر، نحن من كنانة فدونك ثأرك، فاطلبهم؛ فإن القوم قد ساروا بالأمس، فتبع بني أسد، ففاتوه ليلتهم، فقال في ذلك"[٥]:

ألا يا لهف هِنْدٍ إثْرَ قَوْمٍ ** هُمُ كانوا الشِّفاءَ، فَلَمْ يُصابوا

وَقاهُمْ جَدُّهُمْ بِبنَي أبيهِمْ ** وَبِالأَشْقِينَ ما كانَ العِقابُ

وأفْلَتَهُنَّ عِلْباءٌ، جريضًا ** وَلَوْ أدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ[٦]

إذ يبدو القلق مغلّفًا المشهد؛ ذلك أن امرأ القيس أخطأ هدفه المقصود، ومن ثم، فقد خاف من أن ينكسر أمل أخته (هند) في إدراك الثأر، وهو ما أبرزه أسلوب الاستغاثة (يا لهف هند)؛ للتنبيه على حالة الحزن التي انتابتها، وعبَّر التشبيه البليغ (كانوا الشفاء) [٧]، وقصد بني أسد، عن تملُّك الغضب منه، وخوفه ضياع الثأر والمُلْك جميعًا. بيد أن المطارَدين تمتعوا بحظ كبير (وقاهم جدُّهم)؛ إذ قَتَل امرؤ القيس (بني أبيهم) بالخطأ، وقصد بني كنانة؛ لأنهم وبني أسد ينحدران عن بني خزيمة، ومن ثم، امتزج الخوف بالغضب؛ لإفلات (عِلباء)، قاتل أبيه، بعد أن أفلت من خيل امرئ القيس، ولو أدركته لقُتِل من فوره، وسيقت إبله[٨].إلا أن هذا القلق لم يبد بمعزل عن واقعه اليومي، وورود أخبار بني أسد إليه يطلبونه، وهو ما مزج ذلك القلق بالتعجب من موقفهم، والإصرار على قتالهم، وفي ذلك يقول:

بِأيّ عَلاقَتِنا تَرْغَبُونَ ** أعَنْ دَمِ عَمْرٍو على مَرْثَدِ؟

فَإنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ ** وَإنْ تَبْعَثُوا الحرْبَ لا نَقْعُدِ

فإنْ تَقْتُلُونا نُقَتِّلْكُمُ ** وَإنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ[٩]

وقد تملَّك الغضب من الشاعر أعلاه، وتجلى هذا في الاستفهام بالبيت الأول: بأي علاقتنا ترغبون، وكأنه يتعجب من بني أسد؛ لقتلهم كثيرًا من قومه سوى أبيه: دم عمرو على مرثد، وهو ما ارتدَّ على نفسه جزعًا لفراقهم، مما أبرزته الاستعارة [١٠]، فإن تدفنوا الداء لا نخفه، بمعنى: إن تقوموا بإخفاء خوفكم منا، فإننا نظهر القدرة على حربكم، وهو ما أورده في البيت الأخير، فناظر بين الفعلين: تقتلونا – نقتِّلكم، مع مراعاة تشديد الفعل الثاني؛ كونه أبلغ في استحرار القتل، وعزم امرئ القيس على ذبحهم، فضلًا عن الجناس الناقص في قوله: تقصدوا – نقصد[١١]؛ مما ضاعف من الجرس الموسيقي الغاضب في الأبيات. لم يكن من الغريب أن يُضمِر الشاعر الخوف من ضياع الثأر، ويتظاهر بالشجاعة أمام بني أسد، وهو ما جاء نتيجة ردِّ فعل نفسي معاكس لمجريات الحرب؛ إذ تخلَّت عنه بنو بكر وتغلب، بعد أن قاتل بني أسد، فهربوا، و"قالوا له: قد أصبت ثأرك، قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل، ولا من غيرهم من بني أسد أحدًا، قالوا: بلى، ولكنك رجل مشئوم"[١٢]. ويتجلى الخوف على أخته (هند) في قوله عند رؤية البرق، نزول المطر:

بِلادٌ عَرِيضَةٌ وأرْضٌ أرِيضَةٌ ** مَدَافِعُ غَيْثٍ في فضاءٍ عَرِيضِ

فأضْحَى يَسُحُّ المَاءَ من كلّ فِيقةٍ ** يحُوزُ الضِّبَابَ في صفَاصِفَ بِيضِ

فأُسْقي بهِ أُخْتي ضَعِيفَةَ إذْ نَأتْ ** وَإذْ بَعْدَ المَزَارُ غَيرَ القَرِيضِ[١٣]

إذ تتضح معالم الخوف في الأبيات، مما نجده في البلاد العريضة، و(مدافع) الماء المنهمر من السماء، كمعادل حسي لمساحة الخوف والإشفاق على الأخت التي فصلتها عنه البلاد، وجاء السجع بين (عريضة – أريضة) يضاعف من نغمة الخوف على الأخت، وكأننا نسمع دقات قلب الشاعر التي لا تتوقف، فيما يمكننا الربط بين قوله يصف السحابة: يسحُّ الماء من كل فيقة، وبين دموع الشاعر المكتومة على الملك الضائع، والأخت البعيدة، والأنصار الذين تخلَّوا عن امرئ القيس في رحلة بحثه عن الملك.وجاء قوله: (فأسقي به أختي ضعيفة) موحيًا، فلا هو وجد الملك، ولا هو تمكن من مجاورة أخته، وإيناسها في الليالي الموحشة التي تمرُّ عليها. وإننا يمكن أن نلمس الخوف في قول امرئ القيس متأملًا حياة الإنسان:

لَيْتَ شِعْرِي وَلِلَيْتٍ نَبْوَةٌ ** أيْنَ صارَ الرُّوحُ مُذْ بانَ الجَسَد

بَيْنَما المَرْءُ شِهابٌ ثاقِبٌ ** ضَرَبَ الدَّهْرُ سَناهُ فَخَمَد

يَخْدَعُ الجَلْدَ وَيُودِي جَهْرَةً ** وَيَقودُ المَوْتَ لِلحِينِ الأَسَد[١٤]

وفي هذه الأبيات يبدو امرؤ القيس مشفقًا من النهاية المحتومة التي تنتظره، ما حدا به للتفكُّر في حياة الإنسان وما بعد الموت، وتمنى الشاعر أن يقف على حقيقته، وعبَّر عنه التمني (ليت شعري)، أي: ليتني أعلم، بينما ما يتمناه بعيد عنه (ولِلَيْتٍ نبوة)، على النحو الذي رآه

الشاعر في مفارقة الروح للجسد في نهاية العمر، وهو ما يوحي بإحساسه بالفشل المسيطر عليه؛ لأنه في نهاية المطاف لم يتمكن من إدراك ثأره، أو استرجاع ملكه، وفي الناحية المقابلة، لا يدري ما بعد الموت من مصير مجهول، وكأنما قد أحاط به الغموض من جميع أقطاره. جاءت محطات الإنسان الحياتية تشي بشيء من الخوف والقلق من المصير، ونجده في التشبيه البليغ: بينما المرء شهاب ثاقب، والمفارقة في الاستعارة المكنية: ضرب الدهر سناه فخمد، مما يوحي بالمباغتة، وامتدَّ التصوير في البيت الأخير: يخدع الجلْد – يودي جهرة – يقود الموت، والفاعل واحد هو الدهر الذي بدا كعدو يتربص بالإنسان من طرف خفيّ. أبرز الحلم في إدراك الثأر، واستعادة الملك، جانبًا مهمًّا من نفسية الشاعر، بحيث يمكننا ردُّ القلق والوساوس التي انتابته إلى عدم نجاحه في إدراك ما تمناه، وتحطُّم آماله على صخرة الواقع المرير، كمظهر من مظاهر الفشل المؤكد في إدراك الأمنيات.

المطلب الثاني: التهديدات الداخلية والخارجية:

وهو متعلق بالمطلب الأول؛ إذ تعلق الأول بالجانب المسؤول في شخصية امرئ القيس، الفارس الساعي لاسترداد الملك، والنهوض بأعباء الحكم، بينما يتعلق هذا المطلب بشخصية امرئ القيس كإنسان يتعرض لضغوط وتهديدات من شأنها أن تعصف بكيانه النفسي، وتؤرِّقه لدرجة بلغت أن اشتملت قصائده على تراشق مع الأعداء، وهجاء للمخالفين والخصوم، فضلًا عن وصفه للحروب، على النحو الذي جمع بين التهديد الخارجي والداخلي، ومن ذلك قوله بعد ظفره ببني أسد، وقد دارت بيننه وبينهم معركة هائلة، معترفًا بقوتهم وكثرتهم، ومفاخِرًا بنفسه ورجاله:

إذْ هُنّ أقسَاطٌ كَرِجْلِ الدَّبى	**	**أوْ كَقَطَا كَاظِمَةَ النّاهِلِ**
حَتى تَرَكْنَاهُمْ لَدَى مَعْرَكٍ	**	**أرْجُلُهُمْ كالخَشَبِ الشّائِلِ**
حَلّتْ ليَ الخَمرُ وَكُنتُ أمْرَأً	**	**عَنْ شُرْبِهَا في شُغُلٍ شَاغِلِ**
فَاليَوْمَ أُسْقَى غَيرَ مُسْتَحْقِبٍ	**	**إثْماً مِنَ اللهِ وَلا وَاغِلِ(١٥)**

ويمكن للقارئ بسهولة أن يلمح في هذه الأبيات ما سيطر على الشاعر من القلق قبل مواجهة بني أسد، مما تجلى في وصفه لهم، ومن ذلك تشبيه كثرتهم بكثرة الجراد، في قوله: أقساط كرجل الدبى(١٦)، مما يمكننا من استكناه حالة الخوف التي سيطرت على الشاعر، ومن ثم، كان التغلب على تهديدهم من الأمور التي تدعو للفخار، وهو ما نجده في البيت الثالث؛ إذ شبه أرجلهم بالخشب المنتثي المكسَّر الذي لا يُنتَفع به. وبلغت جرأة الاعتراف، في البيت الثالث، في قوله: وكنت عن شربها في شغل شاغل، وسيطرة الوساوس والهم عليه قبل ملاقاة العدو، مما عبَّر عنه الجناس الناقص، ومن ثم، فقد حلَّت له الخمر ولغيره ممن سيسقيهم؛ احتفالًا بالنصر، وتخلصًا من همٍّ جثم على صدره فترة طويلة، وهو ما يوحي به قوله: غير مستحقب إثمًا، أي: الشعور بالتقصير في الأخذ بالثأر، ولا شاعر بالإثم لشربها. وحقيقة، لم يكن من السهل على مُترَف الأمس أن يستحيل رجل المرحلة بين عشية وضحاها، فيقود الجيوش، ويشن الحروب، وهو ما نجده في مفهوم الحرب لدى الشاعر، والتي تمثَّلها من منظور ما تلقيه في القلوب من الخوف والجزع، وما تحصده من أرواح :

الحَرْبُ أوّلَ مَا تَكونُ فُتَيّةً	**	**تَبْدُو بِزِينَتِهَا لِكُلّ جَهُولِ**
حتى إذا حَمِيَتْ وَشُبّ ضِرَامُها	**	**عادتْ عَجوزًا غيرَ ذاتِ خليلِ**
شَمطاءُ جَزّتْ رَأسَها وَتَنَكّرَتْ	**	**مَكْرُوهَةً للشَّمِّ والتّقْبِيلِ(١٧)**

إذ لا جدال في أن تصوُّر مفهوم الحرب، لدى الشاعر، لا تصدر إلا عن نفس مضطربة قلقة، وبدا الشاعر فيها قائدًا قد أعوزه التمرُّس بها، ومن ثم، فالحرب ليست كما يتوهَّمها من يلوغها صباح مساء، فهي تبدأ (فتية)، كجميلة حسناء، قد أغرت الرجال بزينتها (تبدو بزينتها)، ومع هذا الامتداد في التصوير، يبرز جهل الإنسان بعواقبها، مما أكدته صيغة المبالغة (جهول)(١٨). وفي البيت الثاني، جاء تصوير الوجه المقابل لها، مما أبرزه التشبيه (عادت عجوزًا)، وامتد التصوير في البيت الثالث، فحذف المبتدأ في قوله: شمطاء؛ لإبراز قبح المنظر الباعث على الخوف، وكأن الحرب لا تحمل في جعبتها ما يخيف ويبعث على القلق، وهو ما عبَّرت عنه الاستعارة: جزَّت شعرها، وتلتها نظيرتها: مكروهة الشم والتقبيل، كاستعارات ممتدة ذمَّت الحرب وعواقبها. من هنا، كان تصور الشاعر لمفهوم الحرب مما يبعث على الخوف والجزع، فيما يردُّه الباحث إلى اغترار الشاعر في فهمها، وتقدير عواقبها، وهو ما أبرزته قصائد الشاعر في أخريات العمر. إذ ثمة مظهر آخر من مظاهر الخوف ودواعيه، تمثَّل في جزع الشاعر؛ لموته في أرض غريبة بعيدًا عن الأهل والأحباب، وهو ما نجده في الأبيات التي أنشدها لما يحصل بعد وفاته:

ولَوْ أنِّي هَلَكْتُ بِأرْضِ قَوْمي ** لَقُلْتُ المَوْتُ حَقٌّ، لا خُلُودا
أُعالِجُ مُلْكَ قَيْصَرَ كُلَّ يَوْم ** وأَجْدِرْ بِالمَنِيّةِ أنْ تَقُودا
بِأرْضِ الشّأمِ لا نسَبٌ قَرِيبٌ ** ولا شافٍ فَيُسْنِدَ أوْ يَعُودا[١٩]

إذ نجد حالة من الحوار الداخلي الذي أفضى لنظيره الخارجي، مما جرت العادة أن يتحدث به من شارف على الموت، وهو ما اشتمل على الحكمة في البيت الأول؛ إذ تعرَّض لمفارقة كثيرًا ما تتكرر في الحياة، فعقد الشاعر مقارنة بين الموت بين الأهل والموت بأرض غريبة، وضاعف الطباق بين: (الموت – خلودًا) من نظرة الشاعر لمفهوم بقاء الذكر، والمعتقد الجاهلي القديم بأن زائري القبر يؤنسون الميت[٢٠]، ومن ثم، جاء البيت الثاني يحمل العِلّةَ لهذه المقارنة، وهو حروبه المتصلة التي أوصلته للموت غريبًا، ونفهمه من المجاز المرسل: ملك قيصر، وقصد القبائل الحالة في ملك الروم، ووجوب إخضاعهم، والرد على تهديداتهم ردًّا حاسمًا يليق بابن أمير (كندة) الراحل، وهو مجاز مرسل علاقته المحلية؛ إذ عبَّر بالأرض عن ساكنيها. بيد أن تلك المعالجات أو بالأحرى المواجهات بقدر ما لبَّت طموح الشاعر إلا أنها انتهت به للموت غريبًا خارج حدود أرضه، فضلًا عن عدم قدرته على استعادة الملك في نهاية الأمر، فاجتمعت عليه الغربة النفسية، ونظيرتها المكانية؛ إذ لن يجد الشاعر من يؤنسه في قبره، وهو مفهوم الخلود لديه، وعبَّر عنه تعدد العطف: لا نسب قريب، لا شافٍ يسند أو يعود، ومع تكرار (لا) العاطفة[٢١]، وافتقاد الزائر الذي يؤنس الروح بعد الموت، يخرج الشاعر من الدنيا خاوي الوفاض، فلا هو أحرز المجد والملك، ولا هو مات بأرضه بين مَن يعرفهم ويعرفونه.

المبحث الثاني: الخوف والقلق من تقلبات الحياة وصروفها

المطلب الأول: تقدم العمر وغياب الجانب العاطفي

وهو منحى شائع في أشعار الشعراء الذين يتخلى عنهم الزمن، ويتقدم بهم العمر، والأشعار في هذا الصدد أكثر من أن تُحصى؛ إذ سرعان ما تقلب الدنيا للفارس الحبيب ظهر المِجَنّ، فيركد سوقه بعد طول رواج، على النحو الذي يدعو لمزيج من الجزع والقلق على الحسان اللواتي لم يستطعن الصمود أمام شباب الحبيب، فلا يجد ملاذًا سوى العزلة، والتحسُّر على أيام الشباب الخوالي:

قالَتْ سُلَيْمى: أرَاكَ اليومَ مُكْتَئِبًا ** والرَّأْسُ بَعدي رَأيتُ الشّيْبَ قد عابه
وحَارَ بَعْدَ سَوَادِ الرَّأْسِ جُمَّتَهُ ** كمِغْقَبِ الرَّيطِ إذْ نَشَّرْتَ هُدَّابهْ[٢٢]

إذ عمد الشاعر إلى ربط الداعي المعنوي للقلق بنظيره الحسي، وهو فشوّ الشيب في الرأس، وجاء ذلك من خلال حوار افتراضي مع إحدى الحبيبات الغائبات: سلمى، وهو ما برز في ظهور علامات القلق والاكتئاب على الشاعر: أراك اليوم مكتئبًا، مع بروز سبب مجازي لانتشار الشعر الأبيض في رأس الشاعر، وهو ابتعاد الشاعر عنها، مما دلَّل على مجازية الحوار، وأنه من استنتاج الشاعر، وأكده تقديم شبه الجملة (بعدي) لتخصيص الرأس بالشيب[٢٣]، وأتى الشاعر بالاستعارة (رأيت الشيب قد عابه)، كاستعارة مكنية تمثَّل فيها الشيب عيبًا، وهو داعٍ وجودي لتسرُّب القلق لنفس الشاعر.وامتد التصوير في البيت الثاني، مستعرضًا أسباب القلق الحسية، إذ شبهت المتكلمة الشيب كملاءة لا تغطِّي بسوادها كافة الرأس، فيبدو بعض شعر من ارتدَتْها مكشوفة للعيان، وهو تشبيه تمثيل أبرز الشيب في صورة حسية. إلا أن الشاعر قد استبد به هذا الشعور، فما كان منه إلا أن استرسل في تحسُّره على الشباب المولي، وهو ما امتزج بباعث جديد للقلق:

ومَرْقَبٍ تَسْكُنُ العِقْبانُ قُلَّتَهُ ** أشْرَفْتُهُ مُسْفِرًا والنَّفْسُ مُهْتَابَهْ
عَمْدًا لأرْقُبَ مَا لِلجَوِّ مِنْ نَعَمٍ ** فَناظِرٌ رائِحًا مِنْهُ وعُزَّابَهْ[٢٤]

إذ شبه الشعر الأبيض المختلط ببقايا السواد بالجبل العالي الذي تسكنه العقبان التي يختلط فيها البياض بالسواد، واختار الشاعر العقبان لإبراز الشعور بالخوف عند رؤيتها، وتجلى القلق في اعترافه: أشرفتُهُ مسفرًا، وتضاعفت جرعة الخوف في قوله: والنفس مهتابه.

وأكد البيت الثاني الشعور بالحرج كباعث نفسي يقويه ظهور الشيب، وهو الباعث الوجودي للقلق، وجاء الفعل المضارع (لأرقب) يحمل علة النظر للعقبان، وكأن الشاعر قد بدا حريصًا على مراقبة انتشار الشيب يومًا بعد يوم، مع مراعاة تضاعف القلق في نفسه بانتشار البياض في رأسه رواحًا ومجيئًا مما أوضحه الطباق: رائحا – عُزَّابه[٢٥].ومما لا شك فيه أن حياة الفارس اللاهي لامرئ القيس، في النصف الأول من عمره، قد ألقت بظلالها على حالته النفسية؛ إذ طالما انتشى زهوًا بشبابه، وفاخر بتعدُّد علاقاته، وغزواته النسائية، وافتتان النساء به، حتى إن الأم لتلتهي به عن رضيعها، وفي ذلك يقول:

فمِثلِكِ حُبْلى قد طَرَقْتُ وَمُرْضعٍ ** فألْهَيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ[٢٦]

إذ تلهَّت المرأة بغزوة الشاعر الجسدية لها عن طفلها الرضيع، وقد تقاسمها الشاعر مع الطفل في مهده. وإذا كان شبابه على ذلك النحو من الفحولة والفتوة، ورواج سوقه بين النساء، فلا عجب أن يبلغ القلق والخوف منه كل مبلغ وقد انتهت به سفينة الفتوة والشباب على مرفأ الشيخوخة التي تسربت إلى محيطه النفسي بصورة مفاجئة، وفي ذلك يقول في غياب الجميلات، وافتقاده الجانب العاطفي؛ لتقدمه في العمر:

يَرُعنَ إلى صَوْتي إذا مَا سَمِعْنَهُ ** كمَا تَرْعوِي عِيطٌ إلى صَوْتِ أعيَسَا

أرَاهُنّ لا يُحْبِبنَ مَن قَلّ مَالُهُ ** وَلا مَنْ رَأينَ الشَّيبَ فيهِ وَقَوّسَا[٢٧]

فالجميلات اللواتي كنَّ يرتعن لصوته، ويوشكن أن يتخاطفنه، وهو ما قرَّبه تشبيه التمثيل: كما ترعوي عيط إلى صوت أعيسا، ومن ثم، فهو الخبير بطبائع النساء، ما أورده في البيت الثاني، فهن لا يحببن الفقير، فضلًا عن الشيخ الكبير الذي غطى الشيب رأسه، أو حتى علا فوديه، وهو ما اتضح في التصوير الاستعاري: رأين الشيب فيه وقوَّسا، فشبه الشعر الأبيض على جانبي الرأس بالقوس، وأكدت مراعاة النظير بين الحب والرؤية[٢٨]، في البيت، ما قصده الشاعر من أن النساء يحببن جميل الطلعة، وينفرن ممن تقدمت سنه، وانتشر الشيب في مفرقه، وهو السبب الوجودي الحسي للخوف والقلق، وتحسر الشاعر على الأيام الماضية؛ إذ صار ما سخر منه في الشباب واقعًا به، وضاعفت خبرته بالنساء من خوفه وتحسره؛ لعلمه أنهن لم يمِلْن أبدًا له، وكأنما قد قرأ طالعه في ماضيه. وإجمالًا، جاء التقدم في العمر، ومطالعة الشيب وهو ينتشر في الرأس بمرور الزمن، فضلًا عن غياب الحبيبة، وغياب الائتناس العاطفي، والشعور باستحالة استدبار ما استقبل مما مضى، من الأسباب الوجودية التي حدت بامرئ القيس للانزواء، والشعور بالقلق من بلوغ مرحلة الشيخوخة.

المطلب الثاني: الشعور بالعزلة والاغتراب النفسي

لا شك أن محطات الحياة التي مرَّ بها امرؤ القيس قد ألقت بظلالها على حالته النفسية، لاسيما بعد أن تخلَّى عنه الحلفاء، وتباعدت به المسافات عن أخته (هند)، وهو ما نجده في شعره، ومنه قوله:

مَنْ هُنا لِي مِنْ صَدِيقٍ فَلْيَعُدْ ** لِيَعُدْنِي إنَّنِي اليَوْمَ كَمِد

مَنْ خُطوبٍ تَرَكَتْنِي قَلِقًا ** قَلَقَ المحور بِالكَتِّ المَسَد

بَيَّتَتْنِي بِهُمومٍ شُرَّعٍ ** خَلَسَتْ نَوْمِي وَأَحْذَتْنِي السهَد[٢٩]

إذ اختلط هنا الخوف بالهمّ، والخوف من القادم، والشعور بالعزلة، وغياب الأصدقاء والحلفاء، وتخليهم عنه، وهو ما تجلى في الاستفهام: (من هنا لي من صديق فليَعُد)، مما اقترن فيه الاستفهام بالالتماس والاستعطاف في الأمر: (فليعد)، ونجد فيه امرأ القيس غريبًا وحيدًا، لا صديق له، ومن ثم، جاء اعترافه: إنني اليوم كمد، ودلت صيغة المبالغة على زيادة الهم، واستبداده به عن نظيره المألوف.

وعلَّل الشاعر للحالة النفسية القلقة، وحزنه الذي سيطر عليه بقوله: من خطوب، وكان للجمع دلالة الكثرة، والتنكير دلالة التهويل[٣٠]، وعززته الاستعارة (تركتني قلقًا) من شعوره بالقلق الدائم؛ لغموض القادم، وخوفه من المستقبل، فلا يعلم ما تخبئه له الأقدار. وجاءت النتيجة، في البيت الأخير، تشير إلى الحالة النفسية المنهارة، في قوله:(بيَّتتني بهموم شُرَّع)، وهو من التصوير الاستعاري المركب[٣١]، فالهموم كأنها سفن مشرعة لا يعلم إلى أين تسير، وهو ما يوحي بفقدان الأمل، وانعدام الإرادة، فضلًا عن الآثار الحسية التي سيطرت عليه: خلست نومي – أحذتني السهد، فتمثَّل النوم مالًا تختلسه الهموم التي لم تحذه أو تعطيه الطيب، إنما الأرق الذي طالما ملك عليه الليل، فشعر بطوله الذي لا ينتهي. لم تكن ليالي امرئ القيس كسائر الليالي على المحبين أو المؤتنِسين بالأهل والأحباب في جلسات السمر، بل كانت ليالي مؤرَّقة سيطر عليها قلقه الدائم، فتارة من أعباء الحكم، همه في استرداد الملك، وتأديب بني أسد، فضلًا عن ثأر أبيه الذي بات عبئًا معنويًّا يضاف إلى أعبائه الحياتية، وهو ما جعله يتمثَّل الليل، في شعره، تمثلات تشي بتضجره من طوله، وعدم مروره بسهولة، ولعل من أشهر ما قاله في هذا الصدد:

وَليلٍ كَمَوْجِ البَحرِ أرْخَى سُدُولَهُ ** عَلَيَّ بأنواعِ الهمومِ لِيَبْتَلي

فَقُلْتُ لَه لَمَّا تَمَطَّى بصُلْبِهِ ** وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ[٣٢]

إذ بدا البحر معادلًا حسيًّا لليل، ولا عجب فيه هذا التشبيه؛ إذ كان العربي ساكن الصحراء يخاف من البحر[٣٣]، ويرمز به إلى الأهوال والمجهول، والاضطرابات التي يخافها، ومن ثم، فقد قطع الشاعر الصورة بقوله: أرخى سدوله، من باب التصوير الاستعاري الذي تمثَّل فيه الليل شخصًا يرخي ثيابه على ما حوله ليخفيها، فكان الظلام هو الباعث الوجودي على الخوف والقلق، ولذلك، فإن الشاعر في موقف لا يُحسَد عليه؛ إذ اجتمع عليه ظلام النفس، وتسرُّب اليأس إلى شغافها، وظلام الليل، كفأل لا يبشر بيُمْن الطالع. من هنا، لم يكن هناك مفر من شكوى الليل، والتوجه بالحديث إليه مباشرة، مع الاهتمام بتوصيف ظلامه، وبطء انقشاعه بنور الصبح، وهو ما تطلَّب امتداد الصورة في قوله: تمطى بصلبه، أردف اعجازًا، ناء بكلكل، وهي استعارات مكنية متتالية تصور حالة الليل الذي بدا كشخص متثائب، يستيقظ من نومه على مهل، على النحو الذي تثير ردود أفعاله البطيئة الشاعر الذي فقد الملك، والأسرة، وحياة اللهو والطرب، وألقى به العمر المتقدم إلى المجهول الذي يتربص به، ويحيطه من جميع أقطاره. لذلك، فإن حديثه لِلَّيْل قد اعتمد على الرجاء والالتماس، ومن ثم، اتسم خطابه لليل بالمباشرة والوضوح :

ألا أيّها اللّيلُ الطويلُ ألا انْجَلِي ** بصُبْحٍ، وما الإِصْبَاحُ مِنكَ بأمثَلِ

فيا لكَ من لَيْلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ ** بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمّ جَندَلِ[٣٤]

ونلحظ ابتداء الحديث بأداة التنبيه (ألا) للاستفتاح، ولفت انتباه ذلك الغائب عن هموم الشاعر ومخاوفه، وهوما عززه النداء (أيها الليل)، وكرَّر (ألا) لتأكيد انشغال الليل عنه، وعدم اهتمامه بمعاناته، ولم يجد الشاعر بدًّا من توجيه التماسه له؛ علَّه يصيب به لحظة إفاقة؛ فيسفر عن صباح جديد، وهو ما تطلب منه توجيه العتاب واللوم للغافل، مما أبرزه تشبيه التمثيل[٣٥]: كأن نجومه بأمراس كتان إلى صم جندل، فلا الليل يسمعه، ولا هو قادر على استطلاع ما يخبئه الصباح الجديد، ولا أدلَّ على استثقال مرور الليل من النداء التعجبي: فيالك من ليل[٣٦]؛ لتتكشف للقارئ صورة الشاعر الذي عجز عن النظر من سجف الغيب؛ ليعلم ما تواريه عنه الأقدار. وإجمالًا، نلحظ أن أسباب القلق الوجودي لدى الشاعر هو فقدان المحسوسات والمعنويات على الترتيب، من الأصدقاء، والملك الضائع، والأخت التي تمثِّل ما تبقى من الأهل والأحباب، فضلًا عن الشعور بالاغتراب النفسي والعزلة ، وهو ما جعل الشاعر في زاوية منفردة في أقصى الجانب.

الخاتمة

انتهى الباحث من البحث الموسوم: تجليّات الخوف والقلق الوجودي وأبعادهما الإنسانية عند شعراء العصر الجاهلي: امرؤ القَيس أنموذجًا، وناقش فيه مفهوم الخوف الوجودي، وارتباطه بالأسباب المحسوسة، فضلا عن بواعث الخوف والقلق لدى الشاعر، مما تجلى في قصائده، كالمسؤولية التي أنيطت به بعد مقتل والده، وهمِّه في استرجاع الملك، وما واجهه من أعباء الحكم، وقابله من تهديدات خارجية. وتناول الباحث تقدُّم العمر، والشعور بالعزلة والاغتراب النفسي، كأحد أهم أسباب الخوف والقلق على نفس الشاعر، مع الاستشهاد والتحليل بمقطوعات مختارة من ديوانه، وما شملته الروايات التي لم تثبت في الديوان المحقق، مما رواه المفضل ولم يروِه الأصمعي.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

١- يتعلق الخوف والقلق الوجوديان بالذات ووجودها، مما يتمظهر في الخوف من فقدان الاستقلالية، أو الانفصال، أو موت (الأنا) أو الانقراض أو الضغوط الخارجية، وهو ما يمثل أبعادًا محسوسة تتصل بالذات.

٢- مثَّل استرداد الملك، وأعباء الحكم زاوية نفسية لدى الشاعر اتسمت بالخوف والقلق؛ نتيجة للضغوط التي حاصرت الشاعر، وجاء الثأر لأبيه في صدارتها، فضلًا عن ابتعاده عن أخته (هند) التي مثَّلت الأنثى التي ترى أخاها في صورة البطل، ورغبته في إثبات نجاحه في خلافة أبيه أمامها.

٣- جاءت التهديدات الخارجية والداخلية تمثِّل امتدادًا لأعباء الحكم، إلا أنها أبرزت امرأ القيس من منظور إنساني، كرجل ألقت به الأقدار في معترك الحروب، ومن ثم، جاء تمثُّله لمفهوم الحرب يعكس فقدان التمرُّس فيها، فضلًا عن أنها تسببت في موته بعيدًا عن أهله، وهو باعث قوي للخوف الوجودي المتمثِّل في (موت الأنا).

٤- كان لتقدُّم عمر الشاعر، وافتقاده الجانب العاطفي، وانصراف الجميلات عنه ما مثَّل الخوف من المستقبل، والقلق بخصوصه، وجاءت محاورة النفس، والحبيبة الافتراضية تشيان بذلك المنحى النفسي.

٥- عقد الشاعر مقارنة بين شعوره بالاغتراب، والخوف من القادم، وبين ظلام الليل الذي سيسفر عن صباح مثَّل الخوف من المجهول لدى الشاعر، ومن ثم، فقد اقترن الخوف والقلق الوجوديان بالناحية المحسوسة لدى الشاعر.

٦- يميل الباحث إلى أن حياة الشاعر المضطربة، وانتقاله فجأة من حياة اللهو إلى سُدَّة الحكم، قد ألقت بظلالها على حالته النفسية، فتجلَّت مخاوفه وقلقه جرَّاء هذا التحول السريع الذي تسبب في هزة نفسية عنيفة لدى الشاعر.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، المحقق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.

٢- إسماعيل، إيمان محمد صبري، بعض المعتقدات الخرافية لدى المراهقين وعلاقتها بقلق المستقبل، والدافعية للإنجاز، مج١٣، ع٣٨، ٢٠٠٣م.

٣- الأصبهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، (دت).

٤- امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، المنسوب له في ديوانه غير المحقق: رواية المفضل من نسخة الطوسي مما لم يروه الأصمعي، (دط)، (دت).

٥- امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، ديوان امرئ القيس، ديوان امرِئ القيس،اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦- الباخرزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن دمية القصر وعصرة أهل العصر، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٧- البطل، علي، الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م.

٨- البغدادي، عبد القادر بن عمر، شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط١٣٩٣هـ.

٩- الجندي، علي، في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٠- دياب، عاشور محمد، فعالية الإرشاد النفسي الديني في تخفيف قلق المستقبل لدى عينة من طلاب الجامعة، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، مج١٥، ع١، (دت).

١١- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

١٢- الزَّوزني، حسين بن أحمد بن حسين، أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٣- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٤- الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٥- ضيف، شوقي، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، (دط)، (دت).

١٦- ابن عبد الغفار الفارسي، أبو علي، الحسن بن أحمد كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، تحقيق وشرح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٧- ابن عربشاه، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حقَّقه وعلَّق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

١٨- عمارة، السيد أحمد، دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، مكتبة المتنبي، (دط)، (دت).

١٩- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، حقَّقه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، (دت).

٢٠- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٢١- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١١، ١٣٨٣هـ.

References and Sources Lists

1. Ibn Al-atheer, Nasrallah Bin Muhammad Bin Muhammad Bin Abdul-Karim Al-Shaybani, Al-jazari, Abu Al-fath Al-Katib (who dead in: 637 AH), **Grand Gatherer in manufacturing Speech and Prose**, Investigator: Mustafa Jawad, Scientific Mall Press, 1375 AH.
2. Ismail, Iman Muhammad Sabry, **A Few Superstitious Beliefs Among Adolescents and their Relationship to Future Anxiety, Motivation for Accomplishment**, Vol. 13, No. 38, 2003 AD.
3. Al-isbahani, Abu Al-faraj, Ali Bin Al-hussein Bin Muhammad Bin Ahmed Bin Al-haytham Al-marwani Al-umawi Al-qurashi, **Songs** (Book), Investigated by: Samir Jaber, Home Al-fikr, Beirut, 2nd edition, (d t), (d t).
4. Imru' Al-qays Ibn Hajar Ibn Al-harith Al-kindi, It is attributed to Him in His Unverified (Divan) Collection: **Preferred Narration from Al-tusi's Version of what Al-asma'i did not narrate,** (dt), (dt).
5. Imru' Al-qays Ibn Hajar Ibn Al-harith Al-kindi, from Sons of who eat cholecystic, Imru' Al-qais, Imru' Al-qais Divan, **It was taken care of: Abdul-Rahman Al-mustaw**i, Knowledge Home, Beirut, 2nd edition, 1425 AH - 2004 AD.
6. Al-bakharzi, Ali Bin Al-hassan Bin Ali Bin Abi Al-tayeb Al-bakharzi, **Abu Al-hasan is a the palace puppet and people of era squeeze** , Home Al-jeel, Beirut, 1st edition, 1414 AH.
7. Al-batal, Ali, **Image in Arabic Poetry Until the Late Second Century AH,** 2nd edition, Home Al-andalus, Beirut, 1981 AD.
8. Al-baghdadi, Abdul-Qadir Bin Omar, **Mughni ASl-labib Verses Explanation**, Investigated by: Abdu-Aziz Rabah - **Ahmed** Youssef Daqqaq, Home Al-ma'mun for Heritage, Beirut, 1393 AH edition.
9. Al-jundi, Ali, **In Pre-Islamic Literature History**, Al-turath Home Library , 1st edition, 1412 AH - 1991 AD.
10. Diab, Ashour Muhammad, **The Psychological Religious Counseling Effectiveness in Mitigating Future Anxiety Among A University Students Sample, Research in Education and Psychology,** Journal, vol. 15, no. 1, (d t).
11. Al-zirakli, Khair Al-din Bin Mahmoud Bin Muhammad Bin Ali Bin Faris, **The Information**, Al-Ilm Lil Al-Millain Home, 15th edition, 2002 AD.
12. Al-zawzani, Hussein Bin Ahmed Bin Hussein, Abu Abdullah, **The Seven (Mu'allaqat) Explanation**, Revival of Arab Heritage Home, 1st edition, 1423 AH - 2002 AD.
13. Al-sakaki, Yusuf Bin Abi Bakr Bin Muhammad Bin Ali Al-khawarizmi Al-hanafi Abu Yaqoub, **Science Key,** compiled, wrote its footnotes, and commented on it by him: Naim Zarzour, Scientific Books Home, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 1407 AH - 1987 AD.
14. Al-saidi, Abdel-Mu'ta'al, **In order to explain to key summary of rhetoric (Al-balagha) science,** , Library of Arts, 17th edition, 1426 AH - 2005 AD.
15. Dhaif, Shawqi, Ahmed Shawqi Abdel Salam Dhaif, **Arabic Literature History**, **in Pre-Islamic Era**, Knowledges' Home (d t.), (d t.).
16. Ibn Abd Al-ghaffar Al-Farsi, Abu Ali, al-hasan Ibn Ahmad, **The Poetry Book or Parsing Verses Explanation**, edited and explained by: Mahmoud Muhammad Al-tanahi, al-khanji Library, Cairo, Egypt, 1st edition, 1408 AH - 1988 AD.
17. Ibn Arabshah, Ibrahim Bin Muhammad Bin Arabshah, Issam Al-din Al-hanafi, Alatawal, **Science Key Summary Explanation**, verified and commented on by: Abd Al-hamid Hindawi, Scientific Books Home, Beirut, Lebanon, (d t), (d t).
18. Umara, Al-sayyid Ahmed, **A Study in Pre-Islamic Era Texts, Analysis and Savoring**, Al-Mutanabbi Library, (ed.), (ed.).

19.Al-qurashi, Abu Zaid Muhammad Bin Abi Al-khattab, **Arab Poetries Collection**, edited and revised, and added to his explanation: Ali Muhammad Al-bajadi, Egypt Nahdet for Printing, Publishing and Distribution, (dt), (dt).

20.Al-muradi, Abu Muhammad Badr Al-din Hassan Bin Qasim Bin Abdullah Bin Ali Al-masri Al-maliki, **Clarifying the Objectives and Paths with the Explanation of Thousand (Alfiyyah) of Ibn Malik** explained and edited by: Abd Al-Rahman Ali Suleiman, Home Al-Fikr al-Arabi, 1st edition, 1428 AH - 2008 AD.

21. Ibn Hisham, Abdullah Bin Yusuf Bin Ahmed Bin Abdullah Bin Yusuf, Abu Muhammad, Jamal Al-din, **Dewdrops (Qatar Al-nada) and Thirst's Quenching (Bel Al-sada) Explanation**, edited by: Muhammad Muhyi Al-din Abd Al-Hamid, Cairo, 11th edition, 1383 AH.

هوامش البحث

(١) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، (١١/٢).

(٢) ينظر: إسماعيل، إيمان محمد صبري، **بعض المعتقدات الخرافية لدى المراهقين وعلاقتها بقلق المستقبل، والدافعية للإنجاز**، مج١٣، ع٣٨، ٢٠٠٣م، (ص٥٣-٩٩).

(٣) ينظر: دياب، عاشور محمد، **فعالية الإرشاد النفسي الديني في تخفيف قلق المستقبل لدى عينة من طلاب الجامعة**، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، مج١٥، ع١، (ص٤٣٦-٤٦٦٦).

(٤) ضيف، شوقي، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي**، دار المعارف، (ص٢٣٧).

(٥) الزَّوزني، حسين بن أحمد بن حسين، أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (ص٢٥).

(٦) امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، **ديوان امرئ القيس**، ديوان امرِئ القيس،اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م (ص٨٣).

(٧) ينظر: الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، (٢٣/١).

(٨) ينظر: الأصبهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، **الأغاني**، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، (١٠٨/٩).

(٩) الديوان، (ص٨٧).

(١٠) ينظر: الباخرزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، (١٦٠٩/٣).

(١١) ينظر: ابن عربشاه، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، حقَّقه وعلَّق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (٤٥٩/٢).

(١٢) الزَّوزني، شرح المعلقات السبع، (ص٢٦).

(١٣) الديوان، (ص١٢٢).

(١٤) الديوان، (ص٢١٦).

(١٥) الديوان، (ص١٤١).

(١٦) ينظر: البطل، علي، **الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري**، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م، (ص٣٠).

(١٧) الديوان، (ص١٤٩).

(١٨) ينظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١١، ١٣٨٣هـ، (ص٢٧٦).

(١٩) الديوان، (ص٨٩).

(٢٠) ينظر: الجندي، علي، **في تاريخ الأدب الجاهلي**، مكتبة دار التراث، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م (ص٤٤٩).

(٢١) ينظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، **شرح أبيات مغني اللبيب**، تحقيق: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط١٣٩٣هـ، (٢٤٤/١).

(٢٢) الديوان، (ص٨٤).

(٢٣) ينظر: ابن الأثير الكاتب، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، (ص١٧٦).

(٢٤) نفسه.

(٢٥) ينظر: ابن عبد الغفار الفارسي، أبو علي، الحسن بن أحمد **كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب**، تحقيق وشرح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (ص٢٢٣).

(٢٦) الديوان، (ص٣٠).

(٢٧) الديوان، (ص١١٢).

(٢٨) ينظر: الباخرزي، **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، (١٦٢١/٣).

(٢٩) وردت في القسم المنسوب له في ديوانه غير المحقق: رواية المفضل من نسخة الطوسي مما لم يروه الأصمعي، (ص٢١٦).

(٣٠) ينظر: **ابن عربشاه، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، (١٠٣/١).

(٣١) ينظر: عمارة، السيد أحمد، **دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق**، مكتبة المتنبي، د ط، (ص١٠٠).

(٣٢) الديوان، (ص٤٨).

(٣٣) القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، **جمهرة أشعار العرب**، حقَّقه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (ص٤٥٩).

(٣٤) الديوان، (ص٤٨).

(٣٥) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (٣٤٩/١).

(٣٦) ينظر: المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، (٧٨٤/٢).